# حول الاهرام والآثار القديمة

الاهرام... القلاع القديمة... الآثار الفرعونية والاغريقية والرومانية عالم غامض مجهول، يجذبنا الى اكتشافه وفض الاختام التي ختم بها الزمان اسراره. ونفض الغبار عنه: شوق يشدنا الى المغامرة في تلك العوالم السحرية الغامضة. ورهبة من الماضي المجهول، والدهاليز المظلمة، والغرف المسحورة، والقاعات الموحشة لا تفتأ عزمنا!

اذا قمنا بزيارة احد هذه الآثار، اكان قلعة قديمة او مسرحا رومانيا.. تخال وكأن ذلك الزمن الغابر، عاد حيا ليتجسد امامك باشخاصه ومشاهده.

تتنقل بين البلاحات الناهقة السقوف. فتسمع وقع خطواتك آتيا من الماضي السحيق... وكأنك كنت انت الملك في تلك القصر المبجر... او المصارع، او المتفرج في احد تلك المسارح الرومانية الضخمة... او كنت الجندي في تلك القلعة الحصينة التي لم يجرؤ حتى الزمان على هدم جدرانها!!!

تساءلت طويلا لم يجذبني الماضي بذلك الشوق والغموض العسير لاكتشافه، وتدفعني الرغبة الجامحة لكشف النقاب عنه، وما زلت اتساءل ماذا يمثل لنا الماضي القديم؟ قف في احد دهاليز الهرم الاكبر، وتامل في ذلك الزمن الغابر... وقف في احدى تاضحات السحاب التي تعتبر من احد انجازات القرن العشرين في شتوخ البخار، ثم قارن بين مشاعرك... لعل تلاطخ السحاب تبدو هشة قارعة وكيكة البنيان تجاه الهرم الاكبر وعظمة الماضي الذي حفظه واحتفظ به دهورا طويلة!

ترى ما هو سر خلود الاهرام؟ تلك العمارات المتراصة البالغة؟ ولعل اكثر ما جذب المرء على مر العصور هو الهرم الاكبر (خوفو). فما هو سر تحديه للفناء؟! وسر محافظة الزمان عليه من التلف؟ والى متى سيصمد امام تقلبات الطبيعة والارض؟!

يقال ان الارض في الازمنة الغابرة شهدت حضارات متطورة سبقا التاريخ عن ذكرها، وهي كانت قبل التاريخ المكتوب... حضارات لم يتوصل انسان الزمن الحاضر الى مثيلها بعد! فكثيرة هي المخطوطات القديمة والنسبية التي يحتفظ بها المتحف البريطاني والتي تحت الى وجود تلك الحضارة القديمة. وتخبر عما خلفته تلك الحضارات من شواهد ما زالت ماثلة امام ابصارنا... امثال الاهرام الفرعونية، هياكل الاغريق ومعابدهم، خاصة معبد دلف الذي حيكت عنه اساطير كثيرة... وكذلك اهرام المكسيك، والمسارح الرومانية في لبنان وسوريا والاردن الى ما هنالك من اثار جبارة شهدت روعة التاريخ القديم وبقيت شاهدا حيا لتخبرنا عن امجاده!

كان افلاطون من بين الذين نوهوا بوجود تلك الحضارات القديمة... وايضا المؤرخ اليوناني الاشهر هيرودوتس في جولاته الى مصر وبلاد ما بين النهرين، وعديدون سواهم ممن تحدثوا عن وجود قارة الاتلانتيس، او المدينة الخالدة، او الحضارة المثالية، او الجمهورية الفاضلة، المتمثلة الآن في مثلث بيرمودا في المحيط الاطلسي والغارقة منذ خمسة عشر الف سنة قبل المسيح تقريبا كما يقال!!!

الارض شهدت فعلا حضارات على جانب كبير من التطور. كما يشهد بذلك فن العمارة الخالدة المتمثل في الاهرام! ان حصونا عديدة ومعابد قديمة ومدرجات رومانية شكلت سرا غامضا. وحقل بحث رسم للعلماء والباحثة ورجال الاثار. فالمسرح الروماني كان روعة في الهندسة، ومعجزة في البناء، وضخامة في الحجم. لم يتجز مثيله في الزمن الحاضر خاصة وان المقاعد كانت تنحت من حجارة ضخمة! لكن سبب استثمار الاهرام ببذه الاهمية البالغة يعود الى ان الجزء الاكبر من تلك الآثار القديمة، قد خضع لتاثير العوامل الجيولوجية والزمنية والطبيعية. فتآكل قسم منها، وتغيرت معالم قسم آخر. فيما الاهرام قد احتفظت بكامل بنيانها تقريبا. ولم تؤثر فيها العوامل الزمنية الا قليلا. فلعل خلود الاهرام هو ما يثير فضول العلماء! ويبقى السؤال التقليدي يدور في خلدنا وهو سر بنائها حيث برزت نظريات عديدة في محاولة لايجاد تفسير منطقي لبناء الهرم. منهم من يقول بان مئات العمال كانوا يتعاونون على رفع الحجر الواحد وتثبيته في مكانه — ونظرية اخرى تقول بأن منطقة الاهرام كانت غارقة في المياه. وقد اعتمد المهندسون وسيلة البناء في الماء. حتى يصبح من اليسير نقل الحجارة الضخمة في الماء بحيث يخف وزنها ويسهل رفعها... وثمة نظرية اخرى تخبر بأن الفراعنة انذاك قد عرفوا الرافعة الضخمة، فاستعملوها لرفع الحجارة...

يجب اللا ننسى في سياق الموضوع، ما تذكره الكتب المقدسة وبعض المراجع العلمية ان الانسان القديم كان عملاقا في احدى مراحل حياته على الارض. علما ان التاريخ الحديث لم يملك دليلا قاطعا على ذلك بعد. فهل يا ترى عملاق ذلك الماضي الغابر في الزمن هو الذي شيد الاهرام؟!؟!

تعددت النظريات المتضاربة في هذا الشأن. حتى ان البعض يعتقد ان جماعة الصحون الطائرة هي التي قامت بتشييد الاهرام! جميع الحجارة التي استعملت في تشييد الاهرام او الهياكل القديمة، او حتى المدرجات والمقاعد الحجرية، بما فيها قلعة بعلبك واعمدتها... جميعها حجارة ضخمة تزن بالاطنان. لكن المثلث للنظر ان العدد الاكبر من هذه الحجارة الضخمة اتخذ شكلا مكعبا متوازي الاضلاع، او شكلا اسطوانيا لا عيب فيه ولا خلل! والسؤال هو: هل امتلك الفراعنة، او حضارات تلك الازمان معامل حجارة على درجة عالية من التطور التكنولوجي لانتاج هذه الاشكال الهندسية الدقيقة القياس من الحجارة الضخمة؟!—

ان صح ذلك، هو صحيح حتما، الا اذا كان في حوزة العلم تفسير آخر — فلا عجب اذن في ان يتمكن مهندسو الاهرام من تشييدها. فمن يملك آلات متطورة تكنولوجيا لانتاج حجارة بهذه الاحجام الهائلة، والاشكال الهندسية البارعة والقياسات الدقيقة — فلا بد انه كان يملك ايضا الوسائل المتطورة لبناء الاهرام.

ثمة حقيقة تقول بان رؤساء كهنة الفراعنة كانوا على مستوى رفيع من التطور الباطني اذ كان في مقدورهم التحكم في الطاقة، والقاء قوة الجاذبية لفترة مؤقتة... مما يفسح المجال امام بضعة عمال لتحريك تلك الحجارة الضخمة، ثم وضعها في المكان المناسب بكل سهولة وبدون عناء!!! في الواقع، ان القول بهذه الحقيقة قريب الى المنطق، والاكثر اقناعا. خاصة للذين يؤمنون بالقوة الخارقة للانسان... فسر بناء الهرم ليس شيئا عاديا، بل هو اعمق من ان تفكر به من منطلق الانجازات التقنية الحالية!

ثمة معلومة ما زالت موضوع شك لدى بعض العلماء والمؤرخين ومثار بحث لدى البعض الآخر... مفادها ان الاهرام لم يشيدها الفراعنة منذ اربعة الاف عام حسب التاريخ المكتوب بل هي كانت قائمة منذ عشرات الآلاف من السنين، خاصة الهرم الاكبر الذي يعتبر اقدم بناء على وجه الارض، منذ بضعة مئات الآلاف من السنين. وعلى رغم افتقار العلم الحديث الى دليل ثابت يؤكد وجود الانسان العاقل على كوكب الارض منذ تلك الزمن... ولا شك ان عصر الدلو عصر النور والمعرفة بعد عام ٢٠٠٠ سيظهر بعض من هذه الحقائق. لان البشرية آنئذ ستكون مؤهلة علميا لاستيعاب المعلومات المدونة في تلك المخطوطات وكما نعلم ان القدر لا يعطينا ما لم يستوعبه فكرنا لانه عادل حكيم.

ان بعض الاساطير القديمة التي تحدثت عن آلهة قطنوا الارض، ما كانت تلك الاساطير تقصد آلهة بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل هي رمزت الى بشر على مستوى عال من التطور الذاتي، او التكامل الانساني — اشخاص حكماء، عارفون، او كهنة ملكوا اسرار الحياة. وتحكموا في الطبيعة ووقفوا على سر الانسان وجبروت كيانه، وعظمة روحه... فشيدوا الاهرام الثلاثة، خلال حقب زمنية مختلفة لتكون معابدهم ومتقى طلابهم، ومقر اقامتهم في آن واحد. وجول المعلمين وحياتهم كتاب La vie des Maitres وقد ترجم مجددا الى العربية.

اضافة الى ذلك، ان الانسان يحوي في اعماقه وعيا باطنيا هذا الوعي الباطني هو بمثابة مخزن المعلومات المهمة التي اختبرها المرء في الماضي الغابر، وسيختبرها في المستقبل الذي سيشهده الجنس البشري على الارض!

هذا وكما في الارض كذلك في الانسان من عناصر طبيعية، علما ان النسبة المكتشفة من الكيان البشري تعادل النسبة المكتشفة من الارض تقريبا! كذلك نسبة المياه الى الصلب في الارض، تكاد تساوي نسبة المياه الى الصلب في الكيان. وهذا ما حدا ببعض العلماء الى القول بأن الكيان البشري صورة عن الارض ايضا من هذا المنطلق، نرى ان الهرم الاكبر هو بمثابة الوعي الباطني للارض. من حيث المخطوطات التي تحوي المعلومات المهمة والماضي الغابر، وحتى المستقبل الذي ستشهده الارض.

ان الوعي الباطني في الانسان، سيباشر تفتحه في عصر الدلو — يقابله من جهة اخرى لاكتشاف الوعي الباطني الارضي، اي كشف سر الهرم الاكبر ومعلوماته الدفينة — وهذا سبب اخر لخلود الهرم وصموده في وجه التقلبات الارضية، والكوارث الزمنية، والعوامل الطبيعية والجيولوجية. فهو شيد ليبقى ويصمد — والتاريخ والمستقبل هما الشاهدان على صدق ذلك!

واخيرا وليس اخرا ايهما معرفته اهو كيفية بناء الهرم، او الشكل الذي يرمز اليه؟ والا تشير «غرفة الملك» بالحقيقة؟ والنور الذي يتسرب اليها — والتاووس في وسطها — ورموز الدهاليز التي تخترق بناء الهرم — والمرآة التي كانت في ذروته — والمقاييس الزمنية التي تتضمنه — ولماذا شيد في تلك البقعة من الارض بالذات — وأسئلة كثيرة ترداد يوما بعد يوم؟!؟! وعلى رغم الكتب العديدة التي الفت عن الاهرام، الا ان جميعها تتناول النواحي الخارجية، وكأن النواحي الداخلية عصية الادراك، او ان الاوان لم يحن لكشفها بعد؟! ثمة حكمة قديمة تقول: «الا تعطي الشيء الا عند الحاجة اليه!!!» فهل نحن بامس الحاجة الى المعرفة لنستفيد منها ونتمو بها، او ان المسالة مجرد حب استطلاع؟

خلاصة القول، سر بناء الهرم وما يرمز اليه، لا يكمن في التنقيب عنه في الارض ولا في المجلدات والمخطوطات بل في سبر اغوار ذواتنا فتتجلى الحقيقة... حقيقة الهرم وحقيقة الذات الانسانية التي يرمز اليها بالهرم، وما يحويه الهرم!

**ميشال هيدموس**

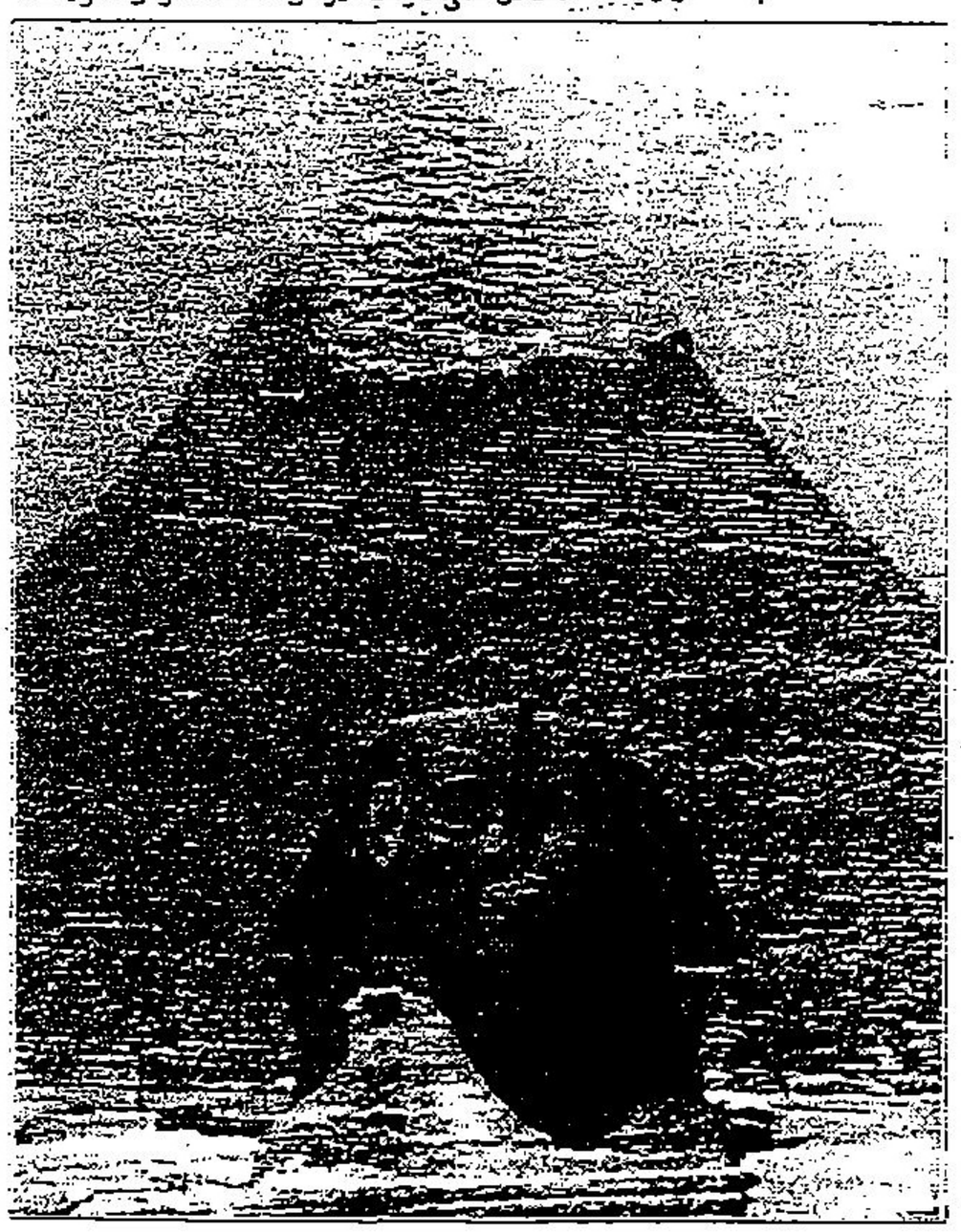

الهرم الاكبر